مقتطفات من كتاب
ذوق الصلاة عند بن القيم
عادل عبد الشكور الزرقي



كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com



تذكر اختلافاتنا...

وبغير الوعي بأننا من المفترض ان نكون مختلفين سيكون الرجال والنساء على خلاف مع بعضهم البعض فنحن في العادة نصبح غضبانين أو محبطين مع الجنس الآخر لأننا ننسى هذه الحقيقة المهمة ...!؟ إننا نتوقع ان يكـــون الجنس الآخر شبهنا تقريبا... ونرغب منهم أن "يريدوا ما نريد" وأن " يشعروا كما نشعر"

فنحن نفترض مخطئين أنه إذا كان آباؤنا يحبوننا فسيكون رد فعلهم وتصرفهم باسلوب معين – أسلوب رد فعلنا وتصرفنا غذا كنا نحب شخصا ما. وهذا الموقف يهيئنا لخيبة الأمل مرة تلو الخرى ويحرمنا من استغلال الوقت الضروري للتواصل بحب عن اختلافاتنا.

النية الحسنة لا تكفي...

إن الوقوع في الحب شئ سحري دائما...تشعر كأنه أبدي وكأن سيدوم للأبد...إننا نعتقـــد بـــسذاجة أننـــا مستثنون من المشكلات التي واجهها آباؤنا وأمهاتنا.

ولا يوجد لدينا أحتمال بأن الحب قد يموت ومطمئنون إلى انه وجد ليبقى وأنه مقدر لنا أن نعيش ســـعداء إلى الأبد...!!! ولكن السحر يتقهقر وتكون الغلبة للحياة اليومية...!!!

ويظهر للعيان أن الرجال يتوقعون من النساء أن يفكرن وأن تكون ردود أفعالهن مثل الرجال والنساء يتـــوقعن أن يشعر الرجال ويتصرفون مثل النساء ودون وعي صريح باختلافاتنا فنحن لا نأخذ الوقت الكـــافي لـــنفهم ونحترم بعضنا البعض... ونصبح كثيري المطالب قاسين ومستائين ونصدر الأحكام وغير قادرين على التحمل.

ومع أفضل وأعظم نوايا الحب يظل الحب يموت...بطريقة ما تتسلل المشكلات ...يتراكم الاستياء ...تتعطـــل الاتصالات ...وتزداد عدم الثقة...وينتج الجفاء والكبت ويضيع سحر الحب.

المريخ مختلف جدا ...أهل المريخ لديهم توجه للحل إذا كان هناك شئ ما يعمل فشعارهم لا تغيره....إن مـــن طبيعتهم أن يدعوه وشأنه غذا كان يعمل "لا تقم بإصلاحه إلا إذا كان قد تعطل" تعبير شائع هناك.

وعندما تحاول امرأة تحسين رجل فإنه يشعر بأنها تحاول إصلاحه إنه يستقبل رسالة مفادها أنه قد تعطل إنهـــا لا تدرك أن محاولات العناية به يمكن أن تهينه ...أنها تعتقد خطأ أنها تساعده على النمو فقط.

يحاول الرجل ان يغير مشاعر المرأة عندما تكون متضايقة بأن يصبح هو السيد الخبير ويقدم حلولا لـــمشكلاتها تؤدي إلى إبطال مشاعرها.

تحاول المرأة أن تغير سلوك الرجل عندما يرتكب أخطاء بأن تصبح هي لجنة تحسين البيت وتقدم نصحا وانتقادا



وجدت الزهريات الطمأنينة أيضا عندما فهمن أخيرا أن دخول أحد أهل المريخ إلى كهفه ليس دليلا على أنه لا يحبها بدرجة كبيرة تعلمن أن يكن أكثر تقبلا له في هذه الأوقات لأنه يعاني من كثير من الضغوط.

وإذا تداركه عليه غيث الرحمة اهتزت أرضه وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فإذا ناله القحط والجدب كان بمنزلة شجرة رطوبتها ولينا وثمارها من الماء، فإذا منعت من الماء يبست عروقها وذبلت أغصانها، وحبست ثمارها وربما يبست الأغصان والشجرة، فإذا مددت منها غصناً إلى نفسك لم يمتد ولم ينقد لك وانكسر، فحينئذ تقتضي حكمة قيم البستان قطع تلك الشجرة وجعلها وقوداً للنار.

عاقبة الغفلة

وافد الملك

وكان سِرُّ الصلاة ولبها إقبال القلب فيها على الله وحضوره بكليته بين يديه فإذا لم يقبل عليه واشتغل بغيره وَلَهَا بحديث النفس، كان بمنزلة وافد وفد إلى باب الملك معتذراً من خطئه وزللِهِ مستمطراً لسحايب جوده ورحمته مستطعماً له ما يقوت قلبه؛ ليقوى على القيام في خدمته، فلما وصل إلى الباب ولم يبق إلا مناجاة الملك، التفت عن الملك وزاغ عنه يميناً أو ولاَّه ظهره، واشتغل عنه بأمقت شيء إلى الملك وأقله عنده قدراً، فآثره عليه وصيره قبلة قلبه، ومحل توجهه، وموضع سره، وبعث غلمانه وخدمه؛ ليقفوا في طاعة الملك، ويعتذروا عنه وينوبوا عنه في الخدمة، والملك شاهد ذلك ويرى حاله.

فبالوضوء يتطهر من الأوساخ ويقدم على ربه متطهراً، والوضوء له ظاهر وباطن، وظاهره طهارة البدن وأعضاء العبادة، وباطنه وسره طهارة القلب من أوساخه وأدرانه بالتوبة، ولهذا يقرن سبحانه بين التوبة والطهارة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [1] وشرع النبي ﷺ للمتطهر بعد فراغه من الوضوء أن يتشهد، ثم يقول: «**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**» [2]، فكمل له مراتب الطهارة باطناً وظاهراً.

فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة فشرع أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله والوقوف بين يديه، فلما طهر ظاهراً وباطناً أذن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه إذ يخلص من الإباق بمجيئه إلى داره ومحل عبوديته.

طهارة القدوم

ولهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام عبودية الصلاة الواجبة عند قوم والمستحبة عند آخرين.

ولما كان سجود القلب خضوعه التام لربه، أمكنه استدامة هذا السجود إلى يوم لقائه.

كما قيل لبعض السلف هل يسجد القلب؟ قال: (أي والله سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله) [1]

سجود القلب



ثم بَيَّنَ أن سبيل أهل هذه الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب وأهل الضلال، فانقسم الخلق إذاً ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية:

١- مُنْعَمٌ عليه بحصولها. واستمرار حظه من النعم بحسب حظه من تفاصيلها وأقسامها.

الناس والهداية

٢- وضالٌّ لم يُعْطَ هذه الهداية ولم يوفق لها.

٣- ومغضوبٌ عليه عرفها ولم يوفَّق للعمل بموجبها.

فالأول المُنعَم عليه قام بالهُدَى ودين الحق علماً، عملاً، والضال منسلخ عنه علماً وعملاً، والمغضوب عليه عارف به علماً منسلخ منه عملاً.

الحمد لله رب العالمين

فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقف هنيةً يسيرةً ينتظر جواب ربه له بقوله: «حمدني عبدي»[1]، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ انتظر الجواب بقوله: «أثنى عليَّ عبدي»، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ انتظر جوابه: «يمجدني عبدي». فيا لذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه: «عبدي» ثلاث مرات، فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغيم النفوس لاستطيرت فرحاً وسروراً بقول ربها وفاطرها ومعبودها: «حمدني عبدي، وأثنى عليَّ عبدي، ومجدني عبدي».

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انتظر جواب ربه له: «**هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل**»، وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما، ومَيِّزَ الكلمة التي لله والكلمة التي للعبد، وفَقِهَ سرَّ كون إحداهما لله والأخرى للعبد، ومَيَّز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والتوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفَقِهَ سرَّ كون هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء قبلهما والدعاء بعدهما، وفَقِهَ تقديم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتقديم المعمول على الفعل مع الإتيان به مؤخراً، أوجز وأشد اختصاراً، وسِرَّ إعادة الضمير مرة بعد مرة، وعلم ما تدفع كل واحدة من الكلمتين من الآفة المنافية للعبودية، وكيف تدخله الكلمتان في صريح العبودية، وعَلِمَ كيف يدور القرآن من أوله إلى آخره على هاتين الكلمتين، بل كيف يدور عليهما الخلق والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تضمنتا لأجلِّ الغايات وأكملِ الوسائل، وكيف جيء بهما بضمير الخطاب والحضور دون ضمير الغائب.

ولما علم سبحانه جدَّ العدو وتفرغه للعبد، وعجز العبد عنه، أمره بأن يستعيذ به سبحانه ويلتجئ إليه في صرفه عنه فيكتفي بالاستعاذة مؤنة محاربته ومقاومته، فكأنه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو فاستعذ بي واستجر بي أكفكه، وأمنعك منه.

وقال لي شيخ الإسلام [١] قدّس الله روحه يوماً: «إذا هاش عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث به فهو يصرف عنك الكلب».

فإذا استعاذ بالله من الشيطان بَعُدَ منه، فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضه المونقة [٢]، وشاهد عجائبه التي تبهر العقول،

واستخرج من كنوزه وذخائره ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وكان الحائل بينه وبين ذلك النفس والشيطان، والنفس منفعلة للشيطان سامعة منه فإذا بعد عنها وطرد لمّ بها الملَك وثبتها وذكّرها بما فيه سعادتها ونجاتها.

ولما بنيت الصلاة على خمس: القراءة والقيام والركوع والسجود والذكر سميت باسم كل واحد من هذه الخمس.

فسميت قياماً كقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [١]. وقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [٢].

وقراءة كقوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [٣].

وركوعاً كقوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [٤]. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ۝٤٨﴾ [٥].

وسجوداً كقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [٦]. ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [٧]

أسماء الصلاة

وأشرف أفعالها السجود، وأشرف أذكارها القراءة. وأول سورة أنزلت على النبي ﷺ افتتحت بالقراءة وختمت بالسجود ووضعت الركعة على ذلك، أولها قراءة وآخرها سجود.

شهادة الحق

وعلى التقديرين فجعلت شهادة الحق خاتمة الصلاة كما شرع أن تكون خاتمة الحياة، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة [٢]، وكذلك شرع للمتوضئ أن يختم وضوءه بالشهادتين [٣].

قال الإمام أحمد في رواية مهنا بن يحيى: إنما حظُّهُمْ من الإسلام على قدر حظهم في الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة. فاعرف نفسك يا عبدالله، احذر أن تلقى الله عز وجل، ولا قَدْرَ للإسلام عندك، فإن قَدْرَ الإسلام في قلبك كقَدْرِ الصلاة في قلبك [1].

قدر الصلاة

وكما أن الصوم ثمرته تطهير النفس، وثمرة الزكاة تطهير المال، وثمرة الحج وجوب المغفرة، وثمرة الجهاد تسليم النفس التي اشتراها سبحانه من العباد، وجعل الجنة ثمنها فالصلاة ثمرتها الإقبال على الله، وإقبال الله سبحانه على العبد، وفي الإقبال جميع ما ذكر من ثمرات الأعمال؛ ولذلك لم يقل النبي ﷺ جعلت قرة عيني في الصوم ولا في الحج والعمرة، وإنما قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» ولم يقل بالصلاة إعلاماً بأن عينه إنما تقر بدخوله فيها، كما تقر عين المحب بملابسته لمحبوبه وتقر عين الخائف بدخوله في محل أمنه، فقُرة العين بالدخول في الشيء أكمل وأتم من قُرة العين به قبل الدخول.

قرة العين

ولما جاء إلى راحة القلب من تعبه ونصبه قال: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**» [1] أي أقمها لنستريح بها من مقاساة الشواغل، كما يستريح التعبان إذا وصل إلى منزله وقرّ فيه وسكن.

وسر الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله بكليته، فكما أنه لا ينبغي له أن يصرف وجهه عن قبلة الله يميناً وشمالاً، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربه إلى غيره.

فالكعبة التي هي بيت الله قبلة وجهه وبدنه، ورب البيت تبارك وتعالى هو قبلة قلبه وروحه، وعلى حسب إقبال العبد على الله في صلاته يكون إقبال الله عليه، وإذا أعرض أعرض الله عنه. وللإقبال في الصلاة ثلاث منازل:

١- إقبال على قلبه فيحفظه من الوساوس والخطرات المبطلة لثواب صلاته، أو المنقصة له.

٢- وإقبال على الله بمراقبته حتى كأنه يراه.

٣- وإقبال على معاني كلامه وتفاصيل عبودية الصلاة ليعطيها حقها.

الإقبال على الله

فباستكمال هذه المراتب الثلاث تكون إقامة الصلاة حقاً، ويكون إقبال الله على عبده بحسب ذلك.